

موقف المحدثين العرب من المصطلح اللساني عند سيبويه.

The position of modern arab scholars on the linguistic term in Sibawayh.

أ.د بغداد بردادي
كلية الآداب واللغات والفنون
جامعة جيلالي ليايس - سيدي بلعباس -
baghdadb60@gmail

علي رزوق*
كلية الآداب واللغات والفنون
جامعة جيلالي ليايس - سيدي بلعباس -
ali.rezzoug22@gmail.com

تاريخ القبول: 2022/10/21

تاريخ الاستلام: 2021/08/23

ملخص:

مسعانا من هذه الدراسة بيان مدى موقف الدرس اللساني الحديث من مصطلحات سيبويه التي أدرجها في الكتاب، فكان خلاصة ما توصلنا إليه خلال دراستنا هذه، أن أنصار الدرس الحديث، وقفوا من هذه المصطلحات موقف النقد والاعتراض - على الأكثر الغالب - بحجة أنها اتسمت بالاضطراب وعدم الاستقرار عند سيبويه نفسه، فبلغت منتهى الصعوبة والتعقيد، وظلت هاجسا كبيرا لدى الباحث اللساني فضلا عن غيره، فأرهقته وحملته ما لا يطيق، وكلفته من أمره عسرا، ومن ثمّ سعى المحدثون إلى الدعوة إلى التيسير على مستوى الموروث المصطلحي، وأطراح تلك الملاحظات والتعقيدات حتى يتسنى لأبناء العربية الإقبال على هذا العلم وتحصيله دون ما مشقة.

الكلمات المفتاحية: سيبويه؛ المصطلح اللساني؛ الدرس الحديث .

Abstract:

As a distraction from this study , explaining the position of the modern linguistic lesson on the terms of sibawayh, which he included in the book ,so the summary of what we reached during our study of this was what the proponent of the modern lesson stood from these terms the position of criticism and objection-at most – on the pretext that it was characterised by turmoil and instability according to sibawayh himself, it reached the end of difficulty and complexity ,and it remained a great concern for the linguistic researcher as well as others, so it exhausted him and carried him what was unbearable ,and cost him difficult ,and then the authors sought to call for facilitation at the level of the terminology, and to introduce these circumstances and complications so that the children arab demand for this science and its collection without any hardship.

Keywords: Sibawayh; the Linguistic Term; the Moderne Lesson.

1. مقدمة:

ظل المصطلح اللغوي التراثي عاملاً قوياً في ظهور العديد من الدراسات اللسانية الحديثة ، إذ أكد دارسوه مدى إفادتهم منه وعلى إثر هذا حاولوا المزاوجة بين الأصالة والمعاصرة ، بإعادة النظر في المصطلحات التراثية من خلال تقويمها وإعادة تأهيلها إلى الدقة والاختصار بحيث تكون علامات يهتدى بها في الدرس اللساني الحديث وقد شجع نقد المصطلح على فتح المجال اللسانيين المحدثين للجرأة على إعادة النظام المصطلحي وحفرهم على تأليف كتب تتضمن رؤى واجتهادات ، يأملون أن تكون جديدة ومحصنة لهذا الشق من النظام اللغوي ، فكان لهذه الرؤى والاجتهادات أثر حسن على تقدم هذا العلم ونضجه والإسراع به إلى الاستقرار بعد ما ناله ما ناله من الاضطراب والغموض اللذين أصابا المصطلح اللغوي عند سيبويه ، فكان هذا الأمر محفزاً ودافعاً للجرأة على نقد الموروث المصطلحي وهذه بعض مواقف وأراء المحدثين منه:

2. نقد غموض واضطراب مصطلحات سيبويه:

وتأتي في مقدّمة هؤلاء الباحثين الأستاذة خديجة الحديثي والتي كانت لها وقفات عديدة عند الكتاب ومصطلحاته ومنهجه في أكثر من مؤلف وضعته لهذا الغرض إذ نجدتها تتحدث عن مصطلحات الكتاب وأسلوبه وترى أنّها تتراوح بين السهولة والصعوبة تقول: " لذلك نجد أسلوب سيبويه في الكتاب يختلف من باب إلى آخر تبعاً للموضوع نفسه ولسهولته وصعوبته، ولتحدد معالمه في زمنه أوجدته عليه، لأن سيبويه عمل كتابه على اللغة العربية وخطبها وبالغتها لذلك كانت ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح، لأنه ألف في زمان كان أهله يألّفون مثل هذه الألفاظ فاختصر على مذهبهم"¹.

وتقول في وصفها مصطلحات سيبويه بالغموض وعدم الاستقرار: " وأما مصطلحات سيبويه فلم تكن قد استقرت بعد ومن أجل ذلك نجد سيبويه يضع عناوين طويلة للأبواب ، وغالبا ما تكون هذه العناوين غير مفهومة بالنسبة لنا فيضطر القارئ إلى الرجوع إلى نص الكتاب يقرأه كله ليفهم ما رمى المؤلف إليه فمثلا وضع للتوابع عنوانا وهو: هذا باب مجرى النعت على المنعوت والشريك على الشريك والبدل على المبدل منه وذكر بعده بابا له مكملا له وهو: (باب ما أشرك بين الاسمين في الحرف الجار فجزيا عليه كما أشرك بينهما في النعت فجزيا على المنعوت)² وتستطرد الحديثي حديثها عن طول عناوين الكتاب وعدم استطاعة فهمه لقولها: " ويكفينا دليلا على طول عناوينه وعدم استطاعة القارئ فهمها لأول وهلة العنوان الذي ذكره للأحرف المشبهة بالفعل فإنه قال: " هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده وهي من الفعل بمنزلة عشرين من الأسماء التي بمنزلة الفعل ولا تتصرف تصرف الأفعال ، كما أن العشرين لا تتصرف تصرف الأسماء التي أخذت من الفعل وشبهت بها"³.

وفي مقابل هذا الغموض قد يكون أسلوب الكتاب سهلا قريبا من الفهم وفي ذلك تقول: اتبع سيبويه في كتابه أسلوب العرض السهل السريع القائم على الإيجاز في التعبير والإكثار من الأمثلة، فهو يعرض القاعدة ثم يمثل لها بأمثلة من كلام العرب.⁴ وترى الباحثة خديجة الحديثي أنه مما يزيد المصطلحات تعقيدا أنّها لم تستقر عند

سيبويه بل بقيت غير محددة حتى جاء النحاة من بعده فضبطوها وحصروها وحددوا معانيها. أما الأستاذ علي النجدي فقد تناول مصطلحات سيبويه وأسلوبه في الكتاب فذكر أنه يؤثر الانصباب والاسترسال وأن مصطلحات عباراته متلاحمة مستوية يجذب بعضها بعضاً وتأخذ فيها الهوادي بالتوالي فهي تمر بين يديك في أكثر الأمر متداركة لا تكاد تنقطع أو تنقسم حتى تتم مسائل الباب كله أو مرحلة من مراحلها ، ثم يذكر أن عبارات كتابه ومصطلحاته تتفاوت وضوحاً وغموضاً يقول: " فرمما وضحت حتى تصير كفلق الصبح سفورا وإشراقا تسبق إلى الفهم ألفاظه معانيه ، وربما غمضت واستغلت حتى تكون كالأحاجي والطلسمات ، يحار فيها الفهم ويرتد فيها القارئ عجزاً وكللاً وبين هذين مراتب من الوضوح والغموض لا تكاد تحصى كثرة⁵.

ويرى علي النجدي أن مصطلحات الكتاب لا غموض فيها ولا غرابة ، إنما الغموض في تأليفها وصياغة العبارة منها ، كما كان الأستاذ علي النجدي كان كثير التحرر من الالتزام من المصطلحات بلفظ واحد ، ويعتبر باب التصغير أوضح الأمثلة لتحرر سيبويه من قيد الاصطلاح ، فقد سماه في العنوان العام (باب التصغير) والتزم هذه التسمية في أربعة من عنواناته ولكنه جعل في البقية يسميه التحقير كثيراً والتصغير قليلاً⁶ ويضيف الباحث أن مصطلحات سيبويه فيها غموض لا يدرك إلا بعد أن يأتي عليه بالشرح والتعليل ويعد الباحث أن التنوع في المصطلحات تحمراً من التزامها وأن أغلب الظن أن سيبويه لم يكن هدفه التحرر بقدر ما كان يهدف إلى التعبير الواضح كأنه كان يضع بين يدي الدارسين جميع إمكانيات التعبير عن المصطلح اللغوي .

أما عن استقرار المصطلحات عند سيبويه فيطلعنا الباحث على أنها لم تشهد الاستقرار بل كانت أسماء عابرة وتراكيب متغيرة لا تثبت على لفظ واحد يقول فمصطلحات سيبويه لم تكن مقصودة بل جاءت فطرية تعبير عن الفكرة التي يتناولها والتي هو بصدد الكلام عنها⁷ فيدلنا الأستاذ علي النجدي من خلال موقفه هذا على أن سيبويه كان متحرراً في مصطلحاته ولم يلتزم بها التزاماً حرفياً.

ويؤكد الباحث أنيس فريجة أن المتن الاصطلاحي الذي كتب به النحاة الأوائل ألحق المادة النحوية مشاكل وصعوبات أهمها النفور من الدرس اللغوي وفي هذا يقول أن الشقة بين المدلولات الأولى للمصطلحات وبين ما ترمز إليه في هذا العلم واسعة وتشكل عثرة لأكثر الطلاب ... يفهمها علماء اللغة والمتفقهون لكن لا تعني شيئاً عند المتعلمين⁸.

وهذا الباحث مصطفى الحيادة ينص على مصطلحات سيبويه اتّسمت بالغموض وقصور العبارة عن تقديم المفهوم بشكل واضح، مما يجعل القارئ في عتمة وحيرة يقول: "كما نلاحظ هذا الأمر عند سيبويه عند معالجته لكان وأخواتها تحت باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد⁹، فهو يشير إلى الاسم الذي يرتفع بعد دخول كان وأخواتها عليه ، في حين نجده في موضع آخر يعبر عن اسم الفاعل باسم الفاعل، ومن ذلك قوله: "هذا باب الصفة المشبهة بالفاعل فيما فعلت فيه اسم الفاعل، ولم تقوَ أن تعمل عمل الفاعل لأنها ليست في معنى الفعل المضارع وإنما شبّهت بالفاعل لما عملت فيه"¹⁰ وهنا

يتضح تداخل كبير بين عدة مصطلحات وهي: (اسم كان وأخواتها، الفاعل، اسم الفاعل) مع أن لكل منهم مفهوم مختلف، وفي هذه الحالة لا يُدرك معنى المصطلح إلا من خلال سياقه وهذا أمر يناهز ما يطلب من المصطلحات من تشكيل الأركان الأساسية للمعنى المستفاد من النص إلا أن تفهم من خلال غيرها¹¹.

ومن المآخذ التي سجلها الباحث على المصطلح السيبويهي، أنه أغفل ذكر الحدّ والتعريف حيث يقول: "شهدت بدايات النحو العربي من حيث مصطلحاتها، اضطراباً في الحدود والتعاريف، فأحياناً لا يقدم الحدّ والتعريف أصلاً وأحياناً يقدم باختلاف بين النحاة. فإذا عدنا مثلاً إلى سيبويه في كتابه نجده يكتفي بالتمثيل لمصطلحاته، باعتبارها واضحة في عصره ولم يأبه إلى الأجيال بعده ومن ذلك ما جاء تحت باب الفاعل في قوله: "باب الفاعل الذي لم يتعدّ فعله إلى مفعول، والمفعول الذي لم يتعدّ إليه فعل فاعل، ولا يتعدّى فعله إلى مفعول آخر، وما يعمل من أسماء الفاعلين والمفعولين عمل الفعل الذي يتعدّى إلى مفعول، وما يعمل من المصادر ذلك العمل وما يجري من الصفات التي لم تبلغ أن تكون في القوة كأسماء الفاعلين والمفعولين التي تجري مجرى الفعل المتعدّي إلى مفعول مجراها¹². فهو يحشد مصطلحات الفاعل واسم الفاعل والمفعول واسم المفعول والمصدر والصفة دون أن يقدم لها أدنى تعريف¹³.

وهذا الدكتور عبد الصبور شاهين يذهب إلى أن مصطلحات سيبويه تميزت بالمتانة وغلبة الصنعة النحوية يقول: قد نصادف في الكتاب تعبيرات يعيننا أن نجني منها ثمرة¹⁴ ويستدل على ما تقدم بقول سيبويه: "واعلم أن المفعول الذي لا يتعداه فعل فاعل إلى مفعول يتعدى إلى كل شيء، تعدى إلى فعل الفاعل الذي لا يتعداه فعل الفاعل إلى مفعول"¹⁵.

ويترجم عبد الصبور شاهين هذه العبارة باللغة المعاصرة بقوله: أن نائب الفاعل الذي يكتفي بفعله مثل (ضرب محمد) يتعدى فعله إلى كل شيء تعدى إليه الفعل المبني للمعلوم من نفس النوع، فكما نقول (ضرب علي محمداً) بالضرب الشديد نقول (ضرب محمد) بالضرب الشديد¹⁶ وفي سياق ترجمته للعبارة التي استخدمها سيبويه، يرى أنه كان الأولى أن يأتي بالعبارة على النحو المتقدم، إذ التباس المعنى باستخدام كلمة (المفعول) بمعنى نائب الفاعل وإسناد التعدي إلى المفعول لا إلى الفعل، وكثرة الضمائر التي هي بدورها تحتاج إلى تفسير عائدها كل ذلك أسهم في التعقيد¹⁷ ويقول الباحث عبد الصبور شاهين في نقد ما جاء به سيبويه من المصطلحات: ومن تعبيراته الخاصة التي لم توجد عند غيره من مؤلف النحو قوله: "اعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك" وهو يريد بعبارة مما يحذفون: ربما يحذفون وقد أشار إلى هذا الأستاذ علي النجدي¹⁸.

ومما استدركه الباحث على سيبويه أنه يمضي في البسط والتمثيل مستخدماً مصطلحاته الخاصة سالكا سبيلاً لم يستطع أن يلتزمه لاحقوه ويستدل في قوله: "هذا باب علامات المضمرين المرفوعين: اعلم أن المضمر المرفوع إذا حدث عن نفسه فإن علامته (أنا)، وإن حدثت عن نفسه وعن الآخرين قال (نحن)، ولا يقع (أنا) في موضع التاء في فعلت، لأنه لا يجوز أن تقول فعلت أنا لأنهم استغنوا بالتاء عن (أنا)، ولا يقع (نحن) في موضع (نا) التي في (فعلنا) لا يقول: فعل نحن، وأما المضمر المخاطب فعلامته إن كان واحداً (أنت) وإن خاطبت

(اثنين) فعلاهما (أتما) وإن خاطبت جمعا فعلاهما (أنتم)¹⁹ يقول عبد الصبور شاهين معلقا : ولا ريب أن هذا النص يكشف لنا لغة سيويه الخاصة التي تميز بها كرائد للدرس النحوي ، يحاول أن ينصب الصبوي والأعلام وإن اضطرت في يده أحيانا الكلمات ، واختلفت بينه وبين الآخرين التعبيرات²⁰ فيبدو من خلال هذه العبارة أن الباحث عبد الصبور شاهين يستثقل هذه المصطلحات التي أوردها صاحب الكتاب على هذا المستوى من التعقيد والاضطراب ، وإن كان الباحث يجنح أحيانا إلى التماس العذر لسيويه ، في نحوه هذا المنحى في الإطلاق الاصطلاحي وهذا ظاهر في قوله أن سيويه برغم علمه المحيط ودرايته الكاملة بتصاريف اللسان العربي ووجوه بيانه لم يكن ممن يميلون إلى استعراض قدراتهم البيانية ، بل كان يحب المساواة في التعبير ، فهو يستعمل الكلمات بقدر ما في ذهنه من أفكار لا يزيد ولا يطنب ولا يختصر فهو لا يكتب خطبة أو مقالة ، وليس كتابه وصفا لمنظر شاعري أو دراسة تأملية ، وتلك ميزة يلحظها كل من جلس إلى مائدة الكتاب يتناول منها فكرة أو يلتهم منها بابا لو طاق²¹.

ويرى الباحث مبروك عبد الوارث أن المصطلحات التي استخدمها سيويه بلغت منتهاها في التعقيد والغموض يقول: " تعاني كتب النحو من الاضطراب في تنالي الأبواب وفي توزيع جزئيات الباب الواحد، فضلا عن الغموض في العناوين مع الغياب في الدقة في المصطلحات وصعوبة في الاهتداء إلى مسائل النحو، وعدم التطابق بين العنوان وما فيه ونضرب على ذلك أمثلة، ما ورد في كتاب سيويه، فهو خير نموذج لهذه الأحكام مع أنه يمثل أكمل وأنضج محاولة في التأليف النحوي قديما وحديثا²².

وفي موقف آخر تثبت الباحث نعيمة رحيم العزاوي ما أثبتته سابقوها إزاء مصطلحات سيويه تقول: والاضطراب في كتاب سيويه يظهر في طول العناوين وغموض المصطلحات فمن ذلك: الفعل الذي يتعدى اسم فاعل إلى اسم مفعول واسم فاعل والمفعول فيه كشيء واحد، يعني باب كان وأخواتها وباب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل فاعله بفاعله مثل الذي يفعل يعني باب التنازع²³.

ويقول الباحث حسن عباس: " يمثل كتاب سيويه في كثير من نواحيه لغة الفارس المستعرب في ازدحامها بالمعاني والأغراض ازدحاما قد يبلغ حد التخمة مع التواء المصطلح وعجز يبلغ حد اللكنة أحيانا ... ولغته مضغوطة مزدحمة بالدلالات والإشارات والأحكام العسيرة على الفهم"²⁴ ويرى الباحث أن الخلاف في كثير من المصطلحات في الكتاب كان أظهر العيوب فيها وأكبر العقبات في تحصيلها والوصول إلى ضوابطها محددة سليمة يسهل استخدامها والاستعانة بها في التفاهم الكلامي²⁵.

وأدلى الأستاذ عبد الرحمان أيوب بأن سيويه كان يواجه صعوبتين في المصطلح إحداها أن اللغة العربية لم تكن قد بلغت بعد المرحلة التي يمكن أن تعتبر فيها لغة علم ، وثانيتها أن كان أجنبيا اكتسب العربية بالتعلم ، ومن ثم فقد كان يأتي في أسلوبه وتعبيراته بما يأتي به الأجنبي حيث يكتب بالعربية من لف ودوران ويلجأ إلى مصطلحات ليست مألوفة عند القارئ العربي ، ولا يشك الباحث أن اللغة العربية في عهد سيويه بلغت درجة من

التطور بكل ما في هذا الوصف من معنى ، غير أن صاحب الكتاب كان يقصد المعاني البعيدة دون المعاني المباشرة بمعنى أنه كان يستخدم التورية والتعريض بأسلوبه وهذا ما يتنافى مع لغة العلم المثالية على حد رأي الباحث ، ويرى أن سيبويه قد ارتكب محظورا في المصطلح هو أنه يعبر بصراحة عما يريد بل كان يلجأ إلى ترك الأمر للقارئ ليفهم مراده بالاستنباط ، وبهذا قد ألجأ القارئ إلى موضع الغموض والإبهام²⁶.

ويقول شوقي ضيف: " تلقانا في مواطن مختلفة من الكتاب ضلال من الغموض والإبهام، وقد يرجع ذلك في الكثير أكثر إلى أن سيبويه كان يضع قوانين النحو والصرف وضعاً مفصلاً متشعباً لأول مرة، فطبيعي أن يتصعب عليه التعبير أحيانا، وأن يدخله من حين إلى حين شيء من الالتواء والإبهام²⁷.

ويرى الباحث حسام النعيمي أن أسلوب الكتاب متردد بين السهولة والصعوبة إذ يقول: أما أسلوب الكتاب فعلى الرغم من أن عباراته قد تكون أحيانا ميسورة الفهم واضحة كفلق الصبح إلا أن فيه أحيانا أخرى من الإيجاز إلى حد قد يعسر فهمها²⁸.

ويرى الباحث كريم حسين الناصح أن الغموض في كتاب سيبويه كان له أثر في حركة التأليف اللغوي قال: ويبدو أن هذا الغموض سواء عند سيبويه أو غيره من النحاة الأوائل كان نافعا لحركة للتأليف النحوي التي استهدفت إيضاح النحو وأزالت كل غموض فيه²⁹، وهو بذلك يشير إلى كتب الشروح التي تعاقبت على كتاب سيبويه وغيره من المؤلفات النحوية التي غرضها إزالة الغموض ورفع الالتباس الذي يعانيه الباحث المبتدئ.

ويذهب أحمد بدوي إلى أن الاصطلاحات في كتاب سيبويه لم تكن قد استقرت بعد من أجل ذلك نجده يضع عناوين مطولة لأبواب غالبا ما تكون هذه العناوين غير مفهومة لنا فترى نفسك مضطرا إلى العودة إلى صلب الكتاب لتفهم المقصود منها³⁰.

ويفيد الدكتور عبد الفتاح الدوجني إلى أن سيبويه لم يكن دقيقا كل الدقة في اصطلاحاته، لأن كتاب سيبويه كتاب في النحو، ولم تكن الاصطلاحات النحوية قد استقرت استقرارا ثابتا بل كانت مضطربة شيئا ما³¹. ويرى الدكتور صاحب جعفر أبو جناح إلى أن المصطلح في الكتاب يمثل بقايا مرحلة عدم الاستقرار التي مر بها النحو العربي قبل الكتاب وأن جهود سيبويه في مجال وضع المصطلحات لا تزال تفتقر إلى الكثير من الدقة والاستقرار، لينتهي إلى القول بأنه على الرغم من أن كثيرا من المصطلحات المتداولة عند المتأخرين النحاة هي ثمرة من ثمار كتاب سيبويه ، وأنها تمثل جهوده وجهود شيوخه في هذا الباب ، فإننا نجد سيبويه عاجزا عن خلق مصطلحات لكثير من الأبواب المعروفة³².

وأما إبراهيم حسن فكان ينظر إلى الكتاب على أن أغلبه غامض ومستغلق فيقول: "وتمّ أمر دعا العلماء إلى عدم إقدامهم على حصر ضرائر الكتاب ودراستها وهو الغموض الذي تميّز به الكتاب ويشيع في عباراته وموقف صاحبه من كثير من هذه القضايا³³.

2. مآخذ تعدّد دلالة المصطلح الواحد على عدة مفاهيم عند سيويه:

و يرى الباحث علي توفيق الحمد أن الشرط الأساسي لعملية الاصطلاح الناجحة الموفقة أن تتوفر علاقة التطابق بين المصطلح ومفهومه ثم تفرد ذلك المصطلح في الدلالة على مفهومه بمعنى أن ينفرد مصطلح واحد مطابق في دلالاته لمفهوم واحد، ذلك أن الاصطلاح اتفاق أهل الاختصاص على التعبير بمرز واحد على معنى أو مفهوم واحد ويرى أنه كلما أمكن أن يكون المصطلح واحداً أو محددًا دالاً على مفهوم واحد كان ذلك أدق وأدل فنجتنب عيبين في آن واحد هما الترادف بين مصطلحات متعددة، والاشتراك اللفظي في الدلالة على مفاهيم متعددة بلفظ واحد اللذان هما نقيضان للوضوح والدقة اللذين هما هدفان مهمان في وضع المصطلحات، كما يرى أن إطلاق مصطلح واحد على مفاهيم متعددة يوقع في اللبس ويجعل قضايا العلم عرضة للتداخل والتشويش والاضطراب، وقد يؤدي هذا الاشتراك إلى فوضى دلالية معجمية لها أثر على تنظيم علومنا للنائشة وعلى تفكيرنا العلمي³⁴.

ونجد الباحث علي توفيق الحمد يلقي اللائمة على مصطلحات سيويه في مجموعة من النقاط منها أن سيويه كان يورد المصطلحات بألفاظ وصور مختلفة يقول: "ولعله كان يحس بغموضها وعدم دقتها في الدلالة على مفهومها مما يجعله يردفها أحيانا بتعريف أو شرح أو توضيح أو وصف أو تمثيل حتى يطمئن تأديتها الغرض، وهذا ظاهر في المصطلحات المطولة والمترادفة أيضا³⁵.

وأن سيويه كان يأتي بلفظ أو كلمة للدلالة على مفهوم معين ثم يعود ويطلقه على مفهوم آخر ويرى الباحث أن هذا عيب من عيوب المصطلح وقع فيه سيويه مع علمه أن أي التباس في المصطلح بغيره يؤدي إلى اضطراب وخلط في دلالة المصطلح لدى المتلقي في حين يرى الباحث أن إطلاق اللفظ للتعبير على مفاهيم مختلفة بلا تمييز يؤدي إلى الخلط وينتج عنه اللاتمييزية الاصطلاحية بين المفاهيم³⁶.

ويذهب الباحث علي توفيق الحمد إلى أن سيويه كان يعجز أحيانا عن إطلاق مصطلح موجز من لفظ أو اثنين فيحوم حول المفهوم الذي يريد التعبير عنه ويعمد إلى شرح ذلك المفهوم وتوضيحه، فيبدو أنه يضع تعريفا بدلا من الاصطلاح:

ومن ما انتقده الباحث علي سيويه أنه كان يحوم حول المصطلح الذي يحس بفجاعته وعدم دقته فيعمد إلى وصفه أو تصويره، أو التمثيل عليه بالنظير وأحيانا بذكر النقيض وبأشكال مختلفة من التعبير وقد يعبر عن المصطلح ومفهومه تعبيرا غير صريح أو بلفظ غير مألوف ويشير الباحث إلى أن سيويه لم يكن يقصد الدلالة الاصطلاحية في بعض مصطلحاته بل يقصد التفسير وبيان المفهوم وتوضيحه لغويا ويعترض على سيويه كونه خلط بين مستويات مختلفة (المصطلح الفني، اللفظة اللغوية، الوصف، التمثيل، التوضيح والتعريف)³⁷.

بعد هذا الموقف الذي اتخذته الباحثة نجده يوحى بدراسته المصطلح اللغوي العربي التراثي دراسة علمية تحليلية متأنية، تقوم على أساس التقييس والتنميط المشهورة لدى علماء المصطلح، ويذهب الباحث إلى أن لضبط

المصطلح وتنظيمه وتوحيد استخدامه أثرا في تنظيم العلوم للناشئة لأن المصطلحات مفاتيح العلوم ولها ما لها من أثر في فهم التراث اللغوي واستيعابه ودراسة المصطلح دراسة علمية ميسرة.

3. إشكالية تعدد المصطلحات الدالة على مفهوم واحد عند سيبويه:

ومن زاوية أخرى تطرّق الباحث مصطفى الحيادة إلى بيان أثر ظاهرة تعدد المصطلحات عند سيبويه وأنها إشكالية عويصة تحول دون الفهم والإدراك، سواء كان هذا التعدد في دلالة اللفظ الواحد على أكثر من مفهوم، أو تعدد الألفاظ الدالة على مفهوم واحد يقول: "وإذا عدنا إلى تراثنا النحوي للوقوف على مواطن التعدد والاختلاف وجدنا فيه ما ينتج عن اختلاف المدارس النحوية، وما يكون داخل المدرسة الواحدة بين أعلامها وحتى بين العالم الواحد، وأما ما نتج من الخلاف بين المدارس النحوية، خاصة بين البصرة والكوفة فأغلب الظن أن منشأها - أي المصطلحات - كان سبب اختلاف النظرة التي ينظرها كل منهما إلى المصطلح³⁸. فالأستاذ مصطفى الحيادة يشير فيما تقدّم إلى أن تعدد المصطلحات سبب الخلاف حتى في عصر سيبويه ومعاصريه من أصحاب المدارس الأخرى، فكيف بمن جاء بعده إذ من الصعب أن يكون المصطلح أشدّ تعقيدا.

وأما الأستاذ عوض القوزي فيرى أن من عيوب المادة النحوية تداخل المصطلحات وتعدد مفهوم واحد والتباسها قد أدى إلى الاضطراب وعدم الوضوح وفي هذا يقول: لا تنقطع الشكوى من عبارة سيبويه وأسلوبه ومصطلحه عند الباحثين سواء كان في موضع الصعوبة والغموض والإبهام أو في غيره من المواضع، حتى صارت هذه المعوقات حاجزا بين الباحثين والكتاب، فلا يطمع أن يقرأها البحث في الوقوف على أسرار كتاب سيبويه فهو بعيد الفور صعب المراس³⁹ وقال في موضع آخر: "وهذا الأثر الضخم نقل إلينا عددا كبيرا من المصطلحات بأشكال وأنماط مختلفة متباينة في الطول، والقصر وطريقة التعبير، فكان تناولها بالدراسة شاقا، وترويض الفكر عليها صعبا"⁴⁰.

وتحدّث أستاذ عوض القوزي عن طريقة سيبويه في عرض مصطلحاته فتوصل إلى نتيجة مفادها أن سيبويه قدم مصطلحاته في شكلين متميزين: أحدهما الوصف، هناك مجموعة كبيرة من المصطلحات لم يضعها سيبويه وضعا نهائيا، فوضعها ومثل لها وهذا يرجع إلى عدم وضوح المصطلح المعبر به وضوحا كليا يجعله يطمئن إليه. والثاني التعبير عن الفكرة بأكثر من مصطلح هذا الأسلوب في التعبير عن المصطلح واضح جدا في الكتاب، فسيبويه هنا لا يكاد يستقر على مصطلح واحد⁴¹.

4. خاتمة:

ما يمكن الإسفار عنه من خلال عرضنا هذا أن الدرس اللساني الحديث وقف موقف المعارض من الموروث المصطلحي، الذي لم يكن - في نظر المحدثين - إلا عائقا في سبيل الفهم والادراك، لما شابه من اللبس والتعقيد، ومن ثمّ وجب على أبناء العربية المخلصين رفع راية التيسير والتغيير، لدفع هذا الإصر عن النشء حتى يتسنى لهم الإقبال على هذا العلم والنهل منه دون ما عناه.

5. الهوامش

- ¹ خديجة الحديثي، كتاب سيبويه، وشروحه، بغداد، ط1، ص89.
- ² سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ج3، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ص209.
- ³ سيبويه، الكتاب، ج1، ص189.
- ⁴ نفسه، ص89-90.
- ⁵ علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، ط2، 1979م، ص154.
- ⁶ ينظر، علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، ص154.
- ⁷ نفسه، ص166.
- ⁸ أنيس فريجة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م، ص167.
- ⁹ سيبويه الكتاب، ج45، ص1.
- ¹⁰ نفسه، ج4، ص434.
- ¹¹ ينظر مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي، عالم الكتب الحديث، ط1، 2004، ص86.
- ¹² سيبويه، الكتاب، ج1، ص45.
- ¹³ مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي، ص87.
- ¹⁴ عبد الصبور شاهين في التطور اللغوي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1985م، ص164.
- ¹⁵ سيبويه، الكتاب، ج1، ص45.
- ¹⁶ نفسه، ص164.
- ¹⁷ نفسه، ص164.
- ¹⁸ ينظر، علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، ص155.
- ¹⁹ سيبويه الكتاب، ج1، ص243.
- ²⁰ عبد الصبور شاهين في التطور اللغوي، ص167.
- ²¹ نفسه، ص164.
- ²² مبروك عبد الوارث، في اصلاح النحو العربي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1406هـ، ص23.
- ²³ العزاوي نعمة رحيم، في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1995م، ص16.
- ²⁴ عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف بمصر، ط2، 1971، ص225.
- ²⁵ نفسه، ص73.
- ²⁶ ينظر، عبد الرحمان أيوب صعوبات أسلوبية في كتاب سيبويه، سلسلة دراسات عربية، مركز اللغات الأجنبية والترجمة، جامعة القاهرة، 1990، ص35.
- ²⁷ شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط7، دار المعارف، 2011، ص62.
- ²⁸ حسام النعيمي، النواسخ في كتاب سيبويه، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1967م، ص05.
- ²⁹ كريم حسين الناصح، مناهج التأليف النحوي من سيبويه إلى ابن هشام، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2007، ص320.
- ³⁰ أحمد أحمد البدوي، سيبويه حياته وكتابه، مكتبة النهضة، الفجالة، ط2، مصر، ص30.
- ³¹ عبد الفتاح الدوجني، ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1984، ص151، وينظر: فاضل صالح السامرائي، الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1971، ص33، وخالد عبد الكريم جمعة، شواهد الشعر في كتاب سيبويه، الدار الشرقية - مصر، ط2، 1989، ص150-151.
- ³² صاحب أبو جناح، من أعلام البصرة، سيبويه هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه، ص103-104.

- ³³ إبراهيم حسن إبراهيم، سيبويه والضرورة الشعرية، مطبعة حسان القاهرة، ط1، 1983م، ص7.
- ³⁴ علي توفيق الحمد، قراءة في مصطلح سيبويه، جامعة اليرموك الأردن (قسم اللغة العربية)، ص69.
- ³⁵ علي توفيق الحمد، قراءة في المصطلح، ص8.
- ³⁶ نفسه، ص109.
- ³⁷ علي توفيق الحمد، قراءة في المصطلح، ص110.
- ³⁸ نفسه، ص24.
- ³⁹ عوض القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره أواخر القرن الثالث هجري، شركة الطباعة العربية السعودية، ط1، 1981، ص129.
- ⁴⁰ عوض القوزي المصطلح النحوي، ص88.
- ⁴¹ نفسه، ص30-37.

6. قائمة المراجع:

1. إبراهيم حسن إبراهيم، سيبويه والضرورة الشعرية، مطبعة حسان القاهرة، ط1، 1983م.
2. أحمد أحمد البدوي، سيبويه حياته وكتابه، مكتبة النهضة، الفجالة، ط2، مصر.
3. أنيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م.
4. حسام النعيمي، النواسخ في كتاب سيبويه، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1967م.
5. خديجة الحديثي، كتاب سيبويه، وشروحه، بغداد، ط1.
6. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ج3، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.
7. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، ط7، 2011.
8. عبد الصبور شاهين في التطور اللغوي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1985م.
9. عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف، بمصر، ط2، 1971.
10. عبد الرحمان أيوب صعوبات أسلوبية في كتاب سيبويه، سلسلة دراسات عربية، مركز اللغات الأجنبية والترجمة، جامعة القاهرة، 1990.
11. عبد الفتاح الدوجني، ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1984.
12. الغزوي نعمة رحيم، في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1995م.
13. علي النجدي، سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، ط2، 1979م.
14. علي توفيق الحمد، قراءة في مصطلح سيبويه، جامعة اليرموك الأردن (قسم اللغة العربية).
15. عوض القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره أواخر القرن الثالث هجري، شركة الطباعة العربية السعودية، ط1، 1981.
16. فاضل صالح السامرائي، الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1971.
17. كريم حسين الناصح، مناهج التأليف النحوي من سيبويه إلى ابن هشام، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2007.

18. مبروك عبد الوارث، في اصلاح النحو العربي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1406هـ.
19. مصطفى طاهر الحيادة، من قضايا المصطلح اللغوي، عالم الكتب الحديث، ط1، 2004.
- وخالد عبد الكريم جمعة، شواهد الشعر في كتاب سيبويه، الدار الشرقية، مصر، ط2، 1989.